الحياة وطن

شعـــر

عبد الجواد طايل



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٢

تصميم الغلاف والإشراف الفنى:

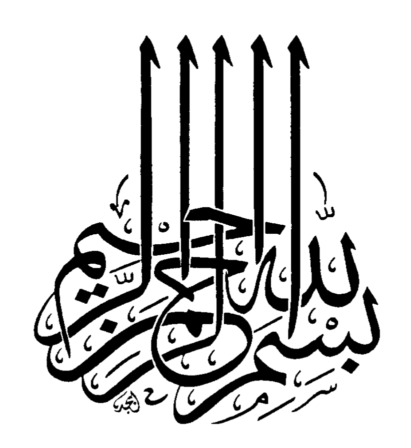
صبرى عبد الواحد

بورتريه الغلاف:

الفنان يوسف فرنسيس

التنفيذ على الكمبيوتر:

إدارة الجمع التصويرى





إهـداء

إلى معشوقتى الأولى

.. والأخيرة

«مصر»

عبد الجواد طايل

هذا الديوان

يشتمل هذا الديوان «الحياة وطن» على مجموعة من القصائد المختارة التى تجمعها وشائج واحدة، ونسيج متجانس معبرة عن الانتماء لهذا الوطن الجميل، والأرض الحبيبة، متطرقة فى بعض موضوعاتها إلى تصوير نماذج من الرموز الإسلامية التى كان ولا يزال وسيظل لنا فيها أسوة حسنة وقدوة طيبة، ومجنحة كذلك إلى آفاق المشاعر الإنسانية الرحبة التى تفيض بها كل نفس تواقة إلى حب الخير والحق والجمال.

فهى فى النهاية مزيج من الموضوعات الوطنية والإسلامية والاجتماعية والإنسانية. كما أن بعض قصائد هذا الديوان

كانت قد نشرت فى السابق هنا أو هناك إلا أننى قد آثرت أن أجمعها مع قصائد أخرى جديدة لم تنشر من قبل لتكون وحدة متجانسة ربما يصعب على القارئ الإلمام بها أو الالتفات إليها وهى متفرقة خلال مطبوعات ذات موضوعات متباينة.

وإن كانت هذه المجموعة من القصائد لم تحظ بنشرها فى ديوان ضمن سلسلة (مكتبة الأسرة) نظراً لضيق الوقت، إلا أنه يسعدنى أن أهديها إلى صاحبة هذا المشروع الجليل الجميل، السيدة «سوزان مبارك» آملاً أن تكون بمثابة قطرة فى هذا الخضم المائج بكل نفيس وغالٍ من الدر واللآلئ.

عبد الجواد طايل

القاهرة - أكتوبر ٢٠٠١م

رسالة من الطفل دره . .

من الطفل دره

إلى زعماء العروبة والمسلمين جميعاً

من الشام للنيل للمغرب العربىْ

ومن بيت لحم إلى الحرمين الشريفينْ

ومن كربلاء إلى المسجد الأموىْ

ومن أم درمان للركع السجد العاكفينَ

بعاصمة الألف مئذنة فى رحاب الحسين

ومن ساحة الشهداء بغزه

إلى كل مستضعف وأبىْ

أنا الطفل دره

سقطت شهيداً هنا فوق صدر أبى

ببعض رصاصات جند اليهود، وباراك ذاك الغبىْ

على حين غره!

وكنت أتمتم فى السر- ساعتها- بنداءٍ خفى

وأدعو كثيراً

بأن تتطهر أرضى

وأن يحفظ الله أمى وأختى وعرضى

ويرفع هذذا البلاء عن القدس ذات صباحٍ

لتصبح حره

أنا الطفل دره

أنادى عليكم لتستيقظوا أيها العرب النائمونْ

فقد مزقتنا الخلافات منذ ملوك الطوائف

وافترستنا العداوات منذ شتات القرونْ!

وفى كل مره

نغنى ونبكى على طلل

إننا عائدونْ..!

ونذرف مليون مليون عبره!

ويسقط ألف شهيد.. بلاثمن

وبلا أى عبره

وتأكلنا حسرة بعد حسره!

أنا الطفل دره

سقطتُ شهيداً - كما يسقط البشر الطيبون هنا

أو كما يسقط الأبرياءْ

بكل صباح ... وكل مساءْ

فلست بأول طفل برىء ينال الشهاده

ولست الأخير من الشهداءْ!

أذكركم وأنا راحل

بأن هنا أول القلبتين*
وأن هنا ثالث الحرمين*
وأن هنا القدس والقادمين من الشرق والغرب
يستشرفون رحيق العباده!
هنا جاوز المصطفى ذات ليل حدود الوجود
إلى سدرة المنتهى بالسماء
ليلقى السلام على صفوة الأنبياء
ويهدى إلى القدس أغلى وسام
وأرقى قلاده!
أذكر كم وأنا راحل

بأن فلسطين ليست مجرد أرضٍ

وليست مجرد شعب

وليس الهتاف بتطهيرها كلما دنسوها

مجرد عاده !

وليست قصيدة شعر تغنى

متى جلدوا كلّ أطفالها دون رفق

ودون هواده !

وإما استباحوا مساجدها ومآذنها

واستحلوا الدماءْ!

أنادى عليكم لتستيقظوا أيها الراقدون

كفاكم بلاده !

فلن ترجع القدس بالعنتريات

والأغنيات المعاده

وشعر الرثاءْ !

ولن يتحرر شبر من الأرض أو مسجد

بالشعارات أو بالهتافات

أو بالبكاءْ !

أنادى عليكم لتستيقظوا أيها الغافلون

فلما يزل حلمنا مستحيلاً !

فأطفالنا بين أوطانهم غرباءْ

وأحفادنا كلهم غرماءْ
بلا راية
وبغير لواءْ
فما عاد فى ربعكم ابن زيد
أو ابن الوليد أو إبن زيادْ
لكى نتعلم منهم فنون القياده !
أفيقوا
وإلا سنصبح مثل ثمود وعادْ
إذا سلّط الله يوماً علينا
أكف الفناءْ
وريح الإباده !

الحياة.. وطن

لماذا يقولون إنك قد صرت بئس الوطنْ
وبئس الصديقْ
وأنت كما أنت مازلت تعطى بغير ثمنْ
نضيق، وأنت بنا لا تضيقْ
جناحاك حضن.. ومدفأة
وشراع أمانْ
ونبع حنانْ

وعتق.. وعشق عميق.. عميق!
وليلك مرحمة وسكن
وهجرك مر بلا يقظة.. أو وسنْ
ومن غير طعم.. ودون رحيقْ
وكل رداء يغطى ويستر عرى البدنْ
ولو من حريرْ
إذا لم يكنْ
موشى بأحرفك الخالداتْ
يقيدنى كخيوط الكفنْ
ويجعلنى فى عداد الرقيق!

أنا سيد فيك مهما اختلفت معكْ

ومهما اغتربت

وطوفت عبر الفلكْ

فما أكرمكْ!

وما أعظمك!

تمد يدك

وتصفح عن كل من يخذلونك عند المحنْ

ومن يشعلون بواديك نار الفتنْ

وينكفئون على ثمراتك مثل الذباب

ومثل العفنْ

ويلتهمونك فى كل نازلة كالحريقْ
وأنت كما أنت مازلت تعفو وتنسى
إساءة
وترأبُ صدع العشيرة عند الشقاقْ
لأنك ما زلت نعم الرفيقْ
وتعبر فى كبرياء المحارب كل مضيقْ
وتصبح ربان كل السفنْ
وطوق النجاة لكل غريقْ!
ومائدة حولها تتوحد كل البلاد.. وكل
المدنْ

فكيف تكون الحياة بدونك

ياسيدى

والحياة وطنْ

* * * *

وأجمل مافيك أنك تمحو جميع الخطايا

إذا ما ابتعدنا وعدنا إليك

جياعاً .. عطاشى .. عرايا

وتفتح أبوابك المغلقةْ

لترتاح أحلامنا المرهقةْ

على صدرك الرحب ننفض عنا غبار

السنينْ

وفوق الجبينْ

نهدهد جرح الزمنْ

وننسى عناء الطريقْ

* * * *

وحين نعد حقائبنا للسفرْ

ويبدأ فصل الوداعْ

تسافر فينا لحد النخاعْ

وتصحبنا كل يوم رفيقاً لنا منذ بدء الصباحْ

وحتى السحرْ

تؤانسنا فى ليالى السمرْ
وفى أمسيات الضياعْ
تطل علينا
تهدهدنا كخيوط الشعاعْ
وتغسل أحزاننا كالقمر!
تعانقنا والعيون ظماء
وأكبادنا حرقة والتياعْ
وأرواحنا لم تزل تستعرْ
وحين تغادرنا لحظة أو يشاعْ
بأنك أصبحت تزهد فينا

ولن تحتوينا

يدور بأعماقنا ألف ألف صراعْ

ويصبح لا فرق بين الحياة لدينا

وبين سقرْ!

* * * *

إلى طفلتي ريم

حينما تبتسمْ

وعلى وجهها باقة حلوة

ترتسمْ

وأنا مجهد بعد يوم طويلْ

من عناء التمزق مابين جيل

وجيلْ!

والصمود الذي جاوز المستحيلْ!

تستحيلْ

الدموع التى بللت وجنتى
والألمْ
والهموم التى أرقت مقلتى
والندمْ
ألف حلم جميل!
وأنا لم يزلْ كاهلى مثقلاً
كالعليلْ
رافضاً رغم تعتيم كل السبلْ
أن أسير إلى الخلف أو أن أسلم
أو أنهزمْ

أو أميلْ!

* * * *

حينما أستهل الصباح الجديد

بهذا الغناء

باسطاً راحتى تجاه السماءْ

يستجاب الدعاءْ

وتذلل كل الصعاب التى بالطريق

بعد عسر.. وضيقْ!

وإذا أوشكت خطوات المساءْ

واجتمعنا على موعد للعشاءْ

كسرت صمتنا ـ فجأةً
كالصديقْ!
وأطلت بفطرتها كالرحيقْ!
فأضاقت إلينا الكثير المثير وأضفتْ
على تمتمات اللقاءْ
لمحة كالبريقْ!
فاستعدنا الصبا
والربيع الوريق
واستدرنا نودع غيم الشتاءْ!

* * * *

حينما يسدل الليل أستاره

فوق جنح الظلامْ

وهى تهتز يقظى - بأرجوحة -

كى تنامْ

وأنا أتمدد فوق الأريكة

مستأثراً بالتعبْ

شارداً بخيالى بعيداً.. حزيناً

لألف سبب

أو بغير سببْ!

يهدأ الجرح فى داخلى

ويذوب الغضبْ!

حين يمتد هذا الحوار الذى قد بدا بيننا

بابتسامْ

ساحراً كالذهبْ

ناعماً كالزغبْ

سائغاً كالطربْ

رائقاً

شائقاً

كهديل الحمامْ!

كمناجاة قلبين فى العشق ذابا

بغير كالام

وبغير خطبْ

طفلتى التى لم تزلْ - بعد - فى مهدها

منحتنى جميع الذى لم أجد

بين كل الكتبْ

والذى لم أنله خلال الزحامْ

من أمان ومن أمل

وسلامْ!

شاعر وقصيدة

أناجـــيك ياربـى كـــثـــيـــراً وأنـدم

على كل مـا أشـدو.. ومـا أترنمُ

صـراع مــرير يسـتـبـد بخـاطرى

وهم ثقــيل يســتطيل ويعظمُ

أسـائل مـاذنبى وقـد صـرت شـاعـراً

ومـــا الوزر فـى أنـى مـــحـب وملهم؟!

وهل تهمتى أنى إذا الوجد شفنى
أجود بإحساسى.. ونفسى تحرم
أحن لأحلام الطفولة والصبا
وقلبى دوماً عاشق.. ومتيّمُ
ويالخيالى إذ يعربد جامحاً
فللشعر سلطان قوافية تحكم
وللعشق أقدار وكيف نردها
تحيق بنا والناس بالليل نوّمُ
أحاول أن أسلو فنبدو كأننا
برغم الذى أمسى.. وأصبح.. توأمُ

ألا ليت شعرى من يساومنى غداً؟!

فـفـى الوصل حـرمـان وفى الكأس علقمُ!

وفـوق وسـاداتـى دمـوع تحـدرت

تسـائلنى على غـداً أتكلم..

فـأزداد إطـراقاً وأزداد لـوعـة

كـأنـى لغـز مـستـحـيل.. ومـبـهمُ!

ولو كنت تدرى أن للعـشق سطوة

لـمـا لمـتنى يوماً فـإنى مـرغم

إذا الشـوق نادانى سـعيت مـهـرولاً

وبـت طـوال الـلـيـل أبـكى وأنـظـمُ

أغـــالب أفكاراً تروح وتغـــتـــدى

وأدرك أنـى بالمـــشـــاعـــر مـــفـــعمُ

أخط بفـــرشـــاتى وأنسخ مـــابدا

فـــهـــذا حـــلال، أو فـــذاك مـــحـــرمُ

ويمـضى بـى الليل الطويل وسـاعـتى

تفـاجـئنى أنى على الصـبح مـقـدمُ

ولكننى مـــاضٍ إلى حـــيث غـــايتى

وكم يســـعـــد الفنان إذ يتـــألم

وكم للقـــوافى من دلالٍ إذا ســـعت

كـــعـــذراء قـــد مـــدت يديهـــا تسلّمُ

تراودني حتى أذوب صبابة

فتصهر روحانا ويمتزج الدمُ

ومعذرة إذذ قد يطول عناقنا

ونلبث ساعات نهيم ونحلمُ

وما الحب إلا شاعر وقصيدة

ولحظة إلهام.. وليل وأنجمُ!!

سيدة من سراييفو

أيها الإخوة فى كل بقاع المسلمين

بعد إلقاء التحيه

أدركونى

وأجيبونى على كل سؤالْ

دون تزييف ومين وضلالْ

واقطعوا الشك بسيف من يقينْ

قبل أن تعصف بى ريح الجنونْ

ما الذى أهلك إخوانى وأهلى
دون أقوام البريه؟
ما الذى أحدث هذا الثقب فى أرض السفينْ؟
وأحال الأمة العظمى إلى ألف غريق وضحيةْ؟
ما الذى أشعل نيران القرون الجاهليةْ..؟
والحروب الطائفيةْ..؟
وأثار الفرقة العمياء والحقد الدفينْ
بعد آلاف السنينْ؟
بعد أن كانت لنا فى الشرق والغرب
جذور راسخات وقويهْ

وعرى وثقى ودين.. أى دينْ!
وكتاب أنقذ الإنسان من هول الخرافات
وزيف الترهات الوثنيهْ
وأعاد البشريهْ
بعد أن كانت لها ألف هويهْ
للهدى والنور والحق المبينْ
هذه أخباركم يا أمة الإسلام
فى كل صباح وعشيهْ
خجلاً يندى لها كل جبين
فى صحيفات أوروبا

وعلى شاشات تلفازات إفريقيا

وأمريكا وآسيا

وإذاعات الرفاق العربيهْ

هذه سيدة مطعونة فى كل شئ

بوسنويهْ

من سراييفو تناديكم وفى أحداقها

صمت وإطراق وإخفاق

وإحساس مرير ومهينْ

صوتها ضاع هباء وسدى

كلنا صم.. وما يجدى مع الصم نداء أو

صدى

هتفت والليل كالبحر وهل يعرف

للبحر مدى ؟!

أيها المليار مسلمْ

قم.. تقدمْ

يا صلاح الدين.. ياعمرو

ويا سعد.. وأنتم ياشباب القادسيةْ

أين أنتم ؟

أدركوني

إنني مسلمة من سراييفو

بوسنويهْ

وشتائى شاحب الوجه.. كسيف وحزينْ!

ذبحوا زوجى وأطفالى أمامى

سملوا عين أبى

أشعلوا النار بأمى وهى فى الدار تصلى

علقوا جدى على باب المصلى

مزقوا ثوبى بأيدٍ همجيهْ

وبقلب لا يلينْ

قدمونى مثل قربان على مائدة الصرب

طعاماً

للوحوش الآدميهْ

نهشوا لحمى وإحساسى وذاتى

مثلما انقضوا على ألف فتاة وصبيةْ

فى مجون!

أيها المليار مسلمْ

أين كنتمْ

حينما رحت أنادى ودموعى تتكلم؟

أدركونى

خلّصونى

أنها مذبحة أندلسيهْ

إن بيتى قد تهدمْ

إن محرابى تحطمْ

إن هذا الطفل فى المهد تيتمْ

إن هذا الوطن الغالى تشرذمْ

إن هذا الحاقد الصربى فى أرضى وفى

عرضى وفى مالى... وفى أهلى تَحكّمْ

أيها المليار مسلمْ

أين كنتم

حينما أصبحت لا أقوى على الدمع وقد

صرت

بقايا امرأة مكسورة تحيا شقيهْ؟
وأنا أدعوك سراً بعد أن شل لسانى وأتمتمْ
وأنا كلى يقينْ
أننى مسلمة لا أنتمى منذ وجودى
ليسار أو يمينْ
فلماذا أيها المسلم لم تشهرْ
سيوف الثار
فى وجه الجيوش البربريهْ؟
ولماذا لم تجرنى؟
ولماذا لم تصنى؟
ولماذا لم تزل تلهو بعيداً عن ملفات القضيهْ؟!

هنا القاهرة

ثلاثون.. لا!! أربعون صباحاً وأكثر
ولم يحمل البرق أية بشرى إلينا
وتمضى الليالى ثقالاً علينا
كأن خطاها تسير الهوينى
ولم نطمئنْ
ولم يأت ساعى البريد برائحة
من تراب الوطنْ

لكى أستحم بأنفاسه

ولكى أتعطرْ!

وأنثر فوق شفاهى بعض الحروف

وأرشف من عبق النيل

رشفة خمر

ورشفة سكر

مقطر!

ثلاثون... لا!

أربعون وأكثرْ!

أنا أتذكر

فهذى الرسالة فى جيب حافظتى
لم تزلْ
على وجنتيْها بقايا شفاه!
وفى شفتيها بقايا قبلْ!
وفى مقلتيها دموع تحدثنى عن
معاناتها
عن هواجسها
كلما الليل أقبلْ
وفى لهفة تتوسلْ
وتصرخ.. أرجوك لا تتأخرْ

فإن الحنان الذى كان كالنبع
أوشك أن يتبخرْ
وإن الندى فوق سطح زجاج نوافذنا
كاد أن يتحجرْ!
وإن الأمانيَّ قد أصبحت كالطللْ
وقد ذبلت واعتراها المللْ
ولكن هذى الرسالة مذ أربعين صباحاً
وأكثرْ
ومن بعدها كلما طاف ساعى البريد
يبادرنى صائحاً

لاتسلْ

فكل الرسائل جاءت ولكنْ

رسالة مصر الحبيبة

لا .. لم تصلْ!

* * * *

وأسأل نفسى عن السر فى هذه الظاهرهْ

ترى ما الذى بدل الناس حتى استحالت

مشاعرهم فاترهْ ؟!

فهذا هو النيل مازال يصفو

وما زال لليل - حين يراوده العشق

والعاشقون -

حنان وعطف!

ومازال صوت المؤذن يخترق الصمت

فى الفجر

والناس كهلاً وشيخاً

إليه تخف

وتهفو

ومازال للبرتقال أريج

ورائحة ساحره

ومازال عبد الوهاب يغنىّ

وصوت المذيع يردد كل صباح

وكل مساء

هنا القاهره!!

يناير ١٩٩٠م

تهجد

كلما ضاقت بى الدنيا وزلت قدمى
وجفا الشعر وجفت خاطرات القلمِ
وبدا العالم حولى موحشاً كالعدمِ!
ثم أمسيت – ودمعى.. يرتوى من ندمِ
وفراشى فى الليالى جذوةٌ من حممٍ..
تغفل الدنيا وفكرى شارد لم ينمِ

* * * *

أذكر الله – فذكر الله نبض فى دمى

وأصلى صلوات الناسك المعتصمِ
فأرى الكون كأنى ملك - لا آدمى!
قد تجاوزت حدود العالم المختصمِ!

* * * *

كلما أحسست بالغربة أو بالسأمِ
أو بأنى تائه فى هذه الدنيا عمِى
فى خضم - ليت شعرى - مائج.. مزدحمِ

* * * *

أذكر الله - وقلبى راسخ كالعلمِ
فهو حسبى - علَّمَ الإنسان ما لم يعلمِ!

محاكمة شاعر

القاضى :

تهمتك العشقْ؟!

ودفاعك مرفوض لكنْ

دافع عن نفسك ماشئتْ

فالحكم سيصدر بعد قليلْ

والتهمة ثابتة، من غير دفوعٍ أو تأويلْ!

الشاعر :

هذا إجمال، قد لايغنى عن تفصيلْ

فالتهمة باطلة أصلاً

مادامت من غير دليلْ!!

القاضى :

لا تتعجلْ

سنفصل حالا ما أجملْ

لكن الأفضل والأجملْ

ألا تتعجب أوْ تسألْ

هذا ديوانك.. هل تنكر؟!

هذى أشعارك تنبت كالعشب الأخضرْ!

هذى أفكارك.. شلالاتٍ تتفجر

بين الأسطرْ

لتعمق فى الناس الإحساسْ

وتدق جميع الأجراسْ

كى توقظ أفئدة كادت أن تتحجرْ!

الشاعر :

إنى أعترف ولكن ما التهمةْ؟!

فى أن أسمو أو أن أتسامى بالكلمةْ؟!

هل فى هذا شئ، منكرْ؟!

القاضى :

مازلت تكابر فى إصرارْ

والموقف يتزايد حرجاً بعد الإقرارْ

مادمت تؤكد معترفاً

أنك مازلت تتاجر ليل نهارْ

فى هذا العارْ!

وتصدر باقات الأشعارْ!

الشاعر :

إنى أترافع باسم جميع الشعراءْ

عن هذا الظلمْ

عن هذا التفكير الأحمقْ

إنى أتساءل ما معنى أن يصدر ضدى

مرسوم بالحكمْ

لمجرد أنى إنسان يعشقْ

ويحاول أن يجتاز الحلمْ

ليعلم كل الناس العشقْ

والعشق يعلم كل الناس الرفقْ؟!

والرفق يحرر كل الناس من الرقْ!

ويقود العالم نحو طريق الحرية!!

القاضى :

الحريه

ماذا تعنى بالحريه ؟!

هذى شطحات الشعر وأحلام الشعراء

الوردية ؟!

هذى أفكار سلفيه

شيطانيه ؟!

أتحاول أن تستقطب كل الناس

لتحفظ هذا الشعرْ ؟!

حتى تستمرىء هذا الفكرْ

فتثور على حكم السلطان وتكفر بالأحكام

العرفية ؟

من بعد الطاعة والصبرْ

من أول يوم فى الدنيا

ولآخر أيام العمرْ

زنديق أنت ومتهم فى هذى الحالة بالكفرْ!

الشاعر :

أتمنى أن يتحقق هذا الحلم وتلك الأمنية

ويصير العشق بعالمنا

لحناً ومقاطع أغنيه

ساعتها سوف تدب الروح بكل الإحساسات

المنسيه

وسندرك أن الشعر وسيلتنا

لتذوق كل مظاهر هذا الكونْ

وبأن لموسيقى الكلمات على الأذنينْ

تأثيراً أروع من لمسات الكفين!

ومذاقا أحلى من خمر الشفتينْ!

وبريقاً أجمل من نظرات العينينْ!

بالكلمة لا بالخوف ولا بالصمت ولا بالصبرْ

نتعلم كيف نحارب هذا القهرْ

ونعود لتلك الحرية!

بالعشق نحطم صوت الخوف بداخلنا

ونعيد صياغة كل رسائلنا

كى تكتب بحروف من تبرْ!

ونهز سكون ضمائرنا

فنطهرها من إسفافات البشريةْ

بالعشق نعود أنفسنا أن تسمو دوماً

أو تعرف معنى الإعلاءْ

ونهذب كل الأشياءْ

ونحقق أحلام الشعراءْ

الورديه!

* * * *

القاضى :

ما العشق إذنْ؟!

الشاعر :

أن تخلق فى العالم فنا

أن تبدع شعراً أو تعزف أنشودة حبٍ

أو لحنا!

أن يصبح لحياتك طعم،

ويصير لأحلامك معنى

أن تصبح فى قومك أغنى

أن تبدو مرتفعاً جداً

والعالم من حولك أدنى،
أن تخلص من أسرك يوماً
كى ترحل فى شريان الأكوان وتفنى!
القاضى :
قررنا بعد سماع جميع الأقوالْ
من أول حرف فى ملحمة العشق لآخر
كلمات الموالْ
أن تنفى لبلاد لا تؤمن بالعشق
ولا تعترف بأحلام الشعراءْ
أو تسجن فى عرض الصحراءْ

أو يحجب عن عينيك الحسن

ويمنع عن شفتيك الماء

أو يشطب من معجمك الآنْ

حرفان اثنانْ

الحاءْ !...

والباءْ !...

فتموت قصيدتك العصماءْ

ويقام الحد على إحساسك

بجمال الأشياءْ!!!

* * * *

من وحى الكعبة

لمّا هتَفْنا فى حُبورٍ نستحثُّ الحافلهْ

هيّاً بنا.. طيرى.. وضمى ركْبَنا للقافله!

فهناك فى الحرم الشريف بكل همس نافله!

فى لحظةٍ شُقَّ الطريقْ

لنطوفَ بالبيت العتيقْ

أرواحنا لاتستفيق

(*) هذه القصيدة فازت بجائزة المركز الأول على مستوى الجمهورية فى المسابقة التى نظمتها لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨٢.

وأمام بيتك ماثلةْ

* * * *

وسعيتُ فى الشوط الأخير للثْمِ ذياكَ الحَجَرْ
متأسِّياً بالمصطفى متيمناً بخُطى عُمَرْ
والناسُ يدفع بعضُهم بعضاً كموجٍ من بشَرْ
شوقاً لأنفاس الرسول
حتى وإن شق الوصول
وتدفقت تلك السيولْ
عطشى لذاك المؤتمرْ

* * * *

وتصبَبَ العرقُ الغزيرُ وراح يحتضنُ الدموعْ
وأنا أسبِّحُ شاكراً..سراً .. وجهراً فى خشوعْ
متبتِّلاً.. متوسّلاً.. مُتأمِلاً هذى الجموعْ
روحى وقلبى زغرَدَا
فلقد لثمتُ الأسعدا
وأنا أُردِّد منشدا
الله ما أحلى الرجوعْ

* * * *

الله ما أحلى الدعاءَ ونحن نسعى بالصفا
وفؤادى الظمآن للإيمان فى شوق هفا

لاشىء يُذكر غيرَ باسم اللّه ثم المصطفى!

وجوارحى مُتهللَهْ

لما بدأتُ الهرولَهْ

أدعو بنفسٍ مُثقَله

إرحم شقيًا.. مُذْنَفَا!

* * * *

ما هذه الأفواجُ ضارعةَ بأركان الحرَمْ

من كلِّ فج أقبلَتْ.. الغضُّ.. والشيخ الهرِمْ

فى نور هذى الكعبة الغراء راحتْ تستَحِمْ

لتعود كالطفِل الوليدْ...

بِدَمٍ .. وشريانٍ جديدْ
وتَضمدَ القلب العميد
وتذوبَ من فرط النَدَمْ

* * * *

وأنا وقلبي والدموع ومهجتي..لما نَزَلْ
نستقبلُ القرن الجديدَ بركعتين ونبتهِلْ
ماأروعَ الذكرى قد اقترنت بتاريخٍ أَجَلْ
يومٌ ولن يتكررا
لما المؤذن كبرا...
بوركت يا أمَّ القرى

فاليوم لى أسنى أمل!

* * * *

ووقفتُ كالمسكينِ من بعد الثراءِ مودّعا

بِخُطىً تراوِدَنى وقلب حثّنى أن أرجعا

حتى ولو لدقيقتين أعود كيما أجرَعا

من ماءِ زمزمَ جُرعتينْ

وهناك أغسِلُ مرتينْ

وجهى وراسى واليدينْ

وأنا أتَمتِمِ بالدُّعا

* * * *

وأعلل القلبَ المُعلّقَ بالرجوع إلى هنا

لما تباشيرُ الصباح بدت ترفرف حولنّا

لم تبق إلا لحظةٌ.. ونغيب عن ذاك السّنا

والذكرياتْ لنا عزاءْ

تجترّها... إمّا نشاءْ

ونبيت نحلم.. باللقاْ

ياليتنا ..ياليتنا

* * * *

على باب طه

على بابِ طَّه كــانَ للشــعــر مــوعِدُ
دعــــانَا لــلقَيَاهُ النبــيُّ مُحــــمَّدُ
فلبَّى كــلانا واســتــجــابَ مُهــرولاً
وعُدنا إلى مــثــواهُ والعَوْدُ أحَمَــدُ
وفى روضَه الإيمــانِ والنور والهُدى
بكينا وراحَ الدمعُ يجــثــو ويســجُدُ

وطُفنا مع الطّوافِ والركب سـائرُ

نُردّدُ - يا الله - إياكَ نعبدُ

نُرتّلُ آياتٍ.. ونقرأُ سُورةً

وننفُضُ أوزاراً.. عسى تتبدّدُ

* * *

فأنتَ شفيعي يومَ أن يجزع الورى

ويومَ يفِرُّ المرءُ.. والجمعُ يُحْشَدُ

هُرِعتُ إلى مثواكَ شوقاً ولهفةً

فعقلىَ مكدودٌ.. وقلبىَ مُجهَدُ

وروحيَ حـيـرى والجـوارح كُلُّهـا

مكبّلةٌ والنَفسُ فى العـيش تَزهَدُ

فلى أسـوةٌ - واللّهِ - فـيكَ.. ولم أزلْ

أُسلّمُ تَسليـمـاً عليكَ وأشـهـدُ

فـهـذى تحـيـاتى إليكَ..وهذه

قـصـائدُ شعَـرى.. كلهـا.. تتـهَّجـدُ

فليسَ لهندٍ بعـد ذكـركَ سـيـرةٌ

وليـسَ لليلى أو لعـزّةَ مـوعدُ

وليس لمـخلوق سـواك مـهـابة

وليس بأنحـاء السـموات فـرقـدُ

فــعندى كنوزٌ من حـــديث وسُنّةٍ

وعندى كــتــاب الله درٌ..مُنضــدٌ

تركتَ لنا عِزاً وجـــاهاً .. ودولةً

شرُفنا بها.. فالشرقُ والغربُ يحسُدُ

ألا ليتَ شعرى هل على الأرضِ مُسلمٌ

يُباهى به فى الخلد إلا ويسعدُ؟!

فنعم رسول، أنت للحق والتقى

ورحـمـتك المـهـداة للناس سؤددُ

فخذ بيدى حتى تقر جوانحى

فـإنك مـحـمـود وإنك أحـمـدُ

* * *

ملحمة بدر

نُصرتُم ببدْر وأنتم أذلّه

بإذن الآلهْ

وكنتم بكل المقاييس قِلّة

أمام العتاهْ

فدُكّتْ حصونُ الألى أشركوا

بدين محمدْ

وعاثوا فساداً ولم يُدْرِكوا

تعاليم أحمدْ

* * *

ولاذ الفريقانِ بالعُدوتينْ[1]

فريقٌ كَفَرْ

فعاد من الحرب صفرْ اليدينْ

وكالمنكسرْ

وأما الفريقُ الكثير القليلْ

(١) وهما العدوة الدنيا: مكان يقع ناحية المدينة.
العدوة القصوى: مكان يقع ناحية مكة وهما مكانان قريبان من «بدر».

فكانت لهم أسوةٌ فى الرسولْ

أقامَ الصلاةْ

وآتى الزكاه

وباع الحياه

وأحنى الجباه

لذاتِ الآله

فأيّدهم ربُّهم بالنجاه

فلمَّا رَحَى الحرب راحتْ تدورْ

وأمسَت..وباتت تُشَقُّ النحور

وعَرْبدَ بالمشركين الغرورْ

وثارتْ.. وكرّتْ
وفرّتْ قريشْ!
بجيش تقدّم...
فى إثر جيشْ!
فهذا يصولْ
وذاك يجولْ
وطاف النُّعاسُ بعينِ الرسولْ
تجلّى البشيرْ
وأوحى إلى المصطفى بالخبرْ!
بأنّ النفير

ستُمحى وتغدو بقايا أثرْ!

وبين قتيل

وبين أسيرْ

تداعى الغرورْ

فبئس المصيرْ!

ونعم النصيرْ!

* * *

وكم آية فى سطور الروايه

تجلّت دروساً لنا فى الهدايه

بكلّ زمانْ

وكلَّ مكانْ

وحسبُك ماكان فى رمضانْ!

فكنتم جياعاً . عطاشاً ..عُراه

حُفاةً.. تشقونَ قيظَ الفلاه

وأقدامكُم فى الثرى.. مُغرقَه

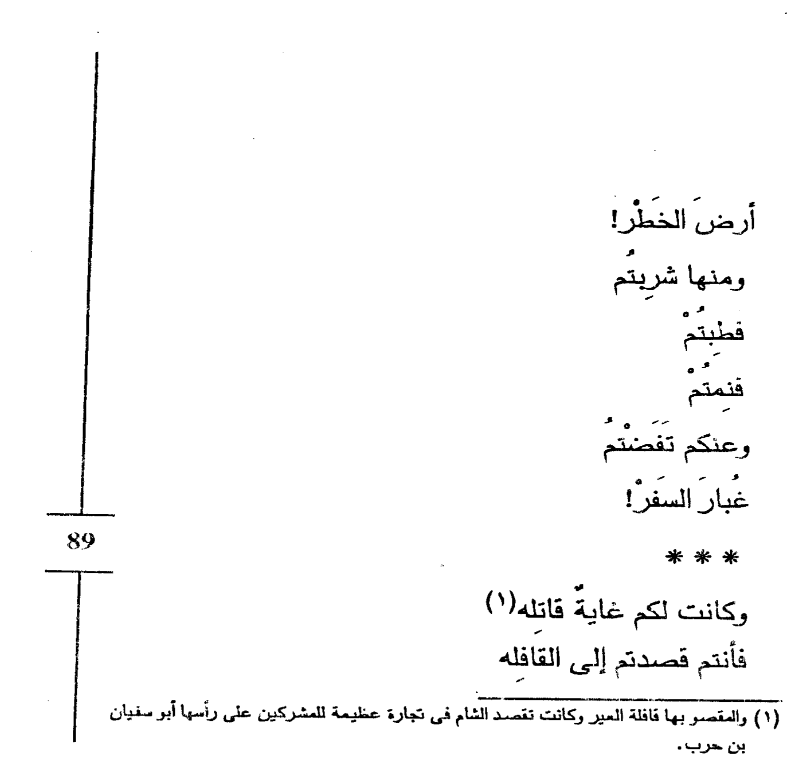
وأجسامكُم باللظى.. مُحرَقَه

وأجفانُكم أطبِقَتُ.. مُرهَقَه

فأمستْ وباتتْ

سيولُ المطرْ!

وراحتْ تعبدُ



أرضَ الخَطْرِ!

ومنها شرِبتُم

فطِبتُمْ

فنِمتُمْ

وعنكم تَفَضْتُمُ

غُبارَ السَفرْ!

* * *

وكانت لكم غايةٌ قاتِله[1]

فأنتم قصدتم إلى القافِله

(١) والمقصو بها قافلة العير وكانت تقصد الشام فى تجارة عظيمة للمشركين على رأسها أبو سفيان بن حرب.

تريدونَ أنفالها الهائِله
فلم تشهدوها!
ولم تُدْرِكوها!
فكادت تخورُ القُوى الشامله!
ورحتم تسوقُونَ
أعذارَكُمْ
ولكنه الحقُّ!...
أوحى لكمْ
بأن تصبِرَوا
لكي تُنصَرَوا
وأن تستجيبوا

لمَا حثّكُمْ

فألقى الرسولُ عليكم قرارَه

بحرب النفيرْ(١)

فصرتم على الفور رهْنَ الإشارِه

لذاك المصيرْ

وعودوا لهذى الرؤى الحالكَهْ

قُبيلْ الرحيلْ

وقد راودت فى الكرى عاتكَهْ(٢)

فأضحت تقولْ

---

(١) هى الطائفة التى نفرت غيرها ولتحميها وكانت لها شوكة كبيرة ولكنها قليلة المال والمتاع.

(٢) عاتكة بنت عب دالمطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ستمضى ثلاثُ ليالٍ.. وبعدْ..
تُصابُ الديارُ بقصف ورَعْدْ!
وقُصّتْ علَى المشركين الروايه
فباتوا يخافون تِلكَ النهايه!
وكانت لهذى الرؤى ألفُ آيه!
فقد رُوِّعوا
وقد أفزعوا
وقد جُرِّعوا
كئوساً من الذُل منذ البدايه!
فخارت قواهُمْ

وشلتْ يداهمْ
وغامتْ سماهُمْ
وراحوا ليجنوا ثِمارَ الغوايهْ
* * *
وقد عَزّزَ النصرَ تلك الشهاده
لبعض الصحَابْ
وفي الخُلْدِ لاريبَ لبُّ السعاده
وحُسْن المآبْ
فطوبى لكم.. معشرَ الشهداءْ
ويا من حملتم ببدرَ اللواءْ
فأمست مكانتكم فى السماءْ

لدى سيد الخلق والأنبياءْ
لنُدْركَ كيفَ يكون البلاءْ
ونُدْركَ كيف يكون الرِّجَالْ
خلالَ القتالْ
وعندَ النزالْ
وكيف تكون الشّهادةُ حلْماً
عزيزَ المنَالْ
لِمنْ ليس يُغريهِ
جاهٌ ومال!!

* * *

أمير عن جدارة

ياأميراً لَمْ يعدْ لِلشعر فى الشرق إمارهَ
فى زمانٍ صارت الدنياً نقوداً وتجاره
فالأحاسيسُ لدينا.. ليت شعرى.. مُستعاره
والهوى زيفٌ
وتمثيلٌ
وربحُ
وخساره

لم تَعُد فينا قلوبُ

أو دماءٌ

أو حراره

بيننا والحبِّ جسْرٌ

وجدارُ

وستاره !!

يا أميرَ الشعر قمْ

فجرٌ بدنيانا الشراره

رقِّقِ الغلظةَ وانفُثْ عبر هاتيكَ الحجاره

جدِّدِ العهدَ.. أعِدْ للشعرِ

فى مصرَ .

وقارَه

أطلِق اللؤلؤَ والمرجانَ

من قيد المحاره

واسقنا من هذه الكاسة

من أحلى عُصاره

هاتِها صفراء.. أوحمراءَ

كل الكأس حاره!

* * *

أيّها الربّانُ.. هذا البحرُ

لم نألفْ دوراَه
كلُنا في الشعر أقزامٌ
متى خُضنا غَماره َ
وأميرٌ أنتَ حتّى الآن
تحتلُّ الصداره!

* * *

نيلُنا.. باقٍ
على شطّيهِ
آثارُ الحضاره
تارة يشكو

ونشكو ما بنا للنيل

تاره

كم سهرنا ليلنا..حتّى

تلقفنا نهارَه..

وغسلنا فيهِ أشجاناً

ووجداً

ومراره

وعجزنا..ربّما عن خطّ حرفٍ

أو عباره

كنتَ سباقاً ..بحسٍّ

طالما الوجدُ أثَاره

تتغنّى براوبيه

وتُهدى الشعرَ

جارهَ

دافقاً كالغيث.. عذباً

يتداعى

فى غزاره!

كنبىٍّ أرسلَ اللّهُ

إلينا..بالبِشاره!

أينَ ياشوقى أماسيكَ التى

كانت مناره ؟!

يغمرُ الشرق ضياها

طالما شقت غباره

مثل نجمٍ هائمٍ

والفلّك قد أمسى

مدارهَ

فالشياطينُ لعمرى

كلّها

رهنُ الإشاره

مُرْ..تُطعْ

فالشاعِرُ الواثِقُ
من يعصي قرارَه
نصفُ قرنٍ قد مضى
دونَ أمير
أو إمارة!
وأميرٌ، لم يرِثْ مُلكاً
أمير
عن جدارة!!

* * *

بعض أطفال صغار؟!

بعدَ أعوامٍ ثقيلهْ!
وحكاياتٍ طويله!
مالهم فى شأنها رأى، ولا فى أمرِها أيّةُ حيلَه
هبت العاصفةُ الهوجاءُ من أول طفلٍ
وإلى آخر أطفال القبيلّه!
عُزلاً كانوا وفى قبضتهم
بعضُ أحجارٍ قليلهْ

ذكَرونا بالفدائيين فى أرض الجزائرْ

وأناشيدِ البطولةْ

وشباب مثل موج البحرِ..ثائرْ!

حسبنَا منه جميلهْ

أيقظونا هؤلاء الصبية الرُحَّلْ لكنْ

بعدَ أن زلّ الشباب

وغدت كلُّ أمانينا سراباً فى سرابْ

وتخطينا بأميال طوال الكهوله

وبدتْ أحلامنَا من بعد أن شِبنا ..هزيلهْ!

ليتنا كنا صغاراً مثلهم

ربما كنا تعلمنا الرجوله!

* * *

بعدَ أن ضاقوا...بأنّا عائدونْ..

وهتافاتِ الإذاعاتِ التى تخطُب فينا

وضجيج الميكروفونْ!

والرواياتِ الكثيرهْ

والعباراتِ المثيرةْ

والشعارات الأثيرهْ!

عقدوا العزَمَ وباتوا يحلمونْ

وصحواْ فى الفجر ا والناسُ نيامْ

تركوا الأكوابَ ملآى بحليبٍ

ومضواْ دونَ شرابٍ وطعامْ

واستداروا للأمامْ

كل، مجموعةٍ أطفالٍ عليهم قائدْ.. فذٌ ..هُمامْ

حلَفوا ألفَ يمينْ

دون لغو أو كلامْ

أن يصدّوا الموتَ عن كلّ الخيامْ

ويرُدّوا كبرياء الأمس

أمجادَ السنينْ

أقسموا أن يمسحوا العار الذى فوقَ الجبينْ

وضعوا أرواحهم فوق يديهم

واستعدوا للخطرْ

معجزات إيه لم تخطرْ على قلب بَشرْ

لمسة واحدة قد أنطقتْ هذاَ الحجرْ!

فتحولْ

صرخةَ جوْعى.. وإعصاراً يزلزلْ

وتجوّلْ

خنجراً يُدمى وسكّيناً تغلغَلْ!

وانتصر

بعض أطفالٍ صغارٍ وحجرْ

وتحدواْ الحضاراتِ التى صالت وجالتْ
والتى دوىْ صداها وانتشَرْ!
والتى سارتْ على سَطح القَمرْ!

* * *

بعض أطفال صغارْ
حوّلوا التاريخَ من مليون ليلٍ حالكٍ!
لتباشيرِ نهارْ
وأثاروا الذعرَ فى قلب المدينهْ
أيقظوا الربّانَ كى يُنقذَ أصحابَ السفينهْ!
دونَ تهديد.. وشجبٍ ..ووعيدٍ.. وانتظار

لقرارْ
صادرٍ من أجل تحرير مصيرٍ وحوارْ!
بينَ أقوامٍ كثارْ
من صغارٍ .. وكبارْ
زفروا الأنفاس حرّى وحزينه
بعدَ أن ماتتْ على الأرضِ السكينه
وعلى الأشجار حباتُ الثمارْ
سكبوا البنزينَ فوق الأرضَ
كى مايطفئوا بركان نارْ!!

* * *

بعدَ أن ضاقوا بأحلام الرجالْ

التى تطغَى على صوتِ النضالْ
مزقوا دون هواده
كل أفكارِ معاده
من قصيدٍ لمقالْ!
لم يعد للشعر سلطان على أحلامهم
سئموا كلّ خيالْ
ومضَواْ نحوَ طريقٍ واحد
كى يريقوا ماء وجه الاحتلال
وأساطين القياده
كى يذودوا عن كلام الله فى دور العباده
وحقول البرتقال

لقنوا العالم درسا هائلاً فى أساليب القتال

سجلوا أسماءهم فى دفتر التاريخ فرساناً وقاده !

مصطفى .. عمرو.. وريهام .. وغادَه

وحسام، ونهال

جمعوا كل النياشين لديهم

دون درع.. أو وسام .. أوقلاده

أثبتوا ألا محالْ .. أثبتوا ألامحالْ!!

بعضُ أطفال صغارْ

* * *

الشــاعر

من قـــديمِ الزمـــانِ وهو يعـــانى

دامعَ القلبِ.. حـــائر الوجـــدانِ

شـــفـــهُ الوجـــد كلمـــا أرقـــتْهُ

الليـــالى.. وعذَبتـــهُ الأمـــانى

راكـــضـــاً كـــالجـــوادِ خلفَ ســـرابٍ

أبـديٍّ وخلفَ خـــيـــطِ دُخـــانِ

سكنَ النَّاسُ كلُّهـم واطـمــــأنـوا

واســـتـــراحـــوا على صُدُورِ التَّوانى!

وهو كـــالزورقِ الذى ليسَ يرســـو

كـلـمـــــا حـلَّ زاهـداً فى الـمـكـانِ!

يَمـــخُرُ الليْلَ مـــتُعَبــاً فى صـــراعٍ

بينَ قـيـدِ النُهَى.. وعـصف الجنانِ

مـــثـقـــلاً بالـخـيـــالِ فى كلِّ دربٍ

يشـتـريه بالعـمـرِ بعضَ الثَوانى

علّهُ يمنحُ الوجـــــودَ المعنىً

دهشـــةَ الحب فى انطلاقِ المعـانى

كلُّ مـعنى قـصـيـدةُ فى دمـاها

نَبــضـــاتٌ ..تمــوجُ بالخـفـقـانِ

كلُّ نبضٍ كـــأنهُ يتـــحـــدّى

ويُبـــاهى بـروعـــة الإنســـانِ

* * *

يذرعُ الأرضَ جـــيـــئـــة وذهاباً

مُطْلقاً للخـــيـــال كلَّ عنانِ

وهو مـــازالَ مُهـــجـــةَ تتلظّى

بـينَ حـــرِّ النّوى وحُلمِ التّدانـيِ

دونَ أنْ يشـتكى وفى مـقُلتـيـه

دمــعــة قــد أبتْ سِوى اللمــعــان!

أخْبـــــرتـنـا بـكلِّ شـىءٍ لـديـه

جفَــوةُ النّاس وانصــرافُ الزّمـــانِ

واغــتــرابٌ بدارةٍ بعــدَ أخــرى

بـين أهـلـيـــهِ فـى حمى الأوطـان

أيهـــا الطـائرُ المــحلِّقُ دومـــاً

سكنَ اللّيـلُ واهــتــــدى الـثّقَلانِ

والطـيـــورُ التـى تـروحُ وتـغــــدو

ســئـمَتْ من تـواتُرِ البُكا والأغــانـى

والوجــودُ الذى يمـــورُ ويغـلـى

قــد ســجــا لحظةً بلا غليــانِ

وبعـــــينـيكَ لم يـزلْ ألـف شُهْدٍ

يحــرسُ الأفق فى الدجى الوسنانِ

فـابكِ مـاشـئـتَ واحـتـرقْ وتعـذب

وانسج الحُلمَ من شـذى الأقـحـوانِ

طرزِ الشـعّر بالخـيـالِ المـوشى

بعـــقـــيقٍ ولؤلؤٍ..وجُمـــانِ

واحـمل الوزْرَ والذنوبَ جـمـيـعـاً

واعـتـرفُ أنكَ الوحـيـدُ الجـانـى

فـالوجـودُ العنيـدُ لن يتـخلّى

عـن هوَاهُ وعن هوى الشـيطـانِ

وعنِ السـيـر خلف كلّ طريفٍ

وعـن الرقـص إثرَ كـلّ بـيـانِ

فـهـو مـازال سـادراً فى الخطايا

مـثلمـا أنتَ لاتزالُ تعـانى

فـمـتى الأرضُ أبطأتْ وتوانتْ

وتـخـلـتْ عـن سُنَّةِ الـدوران

ذرةٌ أنتَ فى فـضـاءٍ فـسـيحٍ

دون جـاهٍ ورونـمـا صـولجـان

فــاعــتــزلْ هذه المــدائن وارحلُ
وانسَ مــا أحلى نعــمــةَ النّســيــانِ

فبراير ١٩٩٣م

رسالة
من سعد بن أبى وقاص
إلى عمر بن الخطاب
"القادسية"

من القادسيه

أزفُ إليكم بشائر نصر موزرْ

فكلُ الحناجر خلفى ترددُ

«الله أكبرْ»

تزلزلُ كالرعد كلَّ النفوسْ
وتُعلن أن لاهواده
فالحربُ حربٌ ضروسْ
لتحطمَ إيوانَ كسرى وتعبُرْ
وتطفىء نار المجوسْ
وتنزع تيجان عرش طغا و تجبرْ
على صخرة المسلمين تكسّرْ
لتصبح أشلاء مُلك مُبعثَر
وتشعل بين الفراتِ ودجلهْ

حَمِيَّ الوطيسْ

ومازلت أشهدُ سيفَ «ابن عَمرٍو»[1]

بأغواث [2] يزأرْ

ويقطف كلَّ الرؤوس

ويظفرْ

ويمضي يحث الكماة ويصرخ في وجه كل الفوارسْ؟

يمزق كالليث أفيال فارسْ!

ويحصدُ في كل ضربة سيفٍ

(١) هو القعقاع ابن عمرو من الذين أبلوا بلاءً عظيماً في موقعة «القادسية».

(٢) الاسم الذي يطلق على اليوم الثاني في معركة «القادسية» وهو من أعظم أيامها.

ثلاثين رأساً وأكثر

ويمرُق كالسهم بين خيولٍ

وعَسْكرْ

وفى ظلمة الليل بين صهيل الخيول

وبين صليل السيوف

يجوسْ

ومازال كل الجنودِ يسوسْ

ولايتقهقرْ!

ويرصدُ خلفَ المدى من بعيد

وراءَ المعسكَرْ
جميعَ الذى لايُرى
وكلّ الذى ليس يَبصُرْ!

* * *

هنا القادسيّه
رجالُ تروحَ وتغدو مُدوّيةَ
مثلَ نحل الخليه!
ترتّلُ سورةَ طهَ و«يس»
والحربُ دائرةٌ
بالضحى والعشيّه

وتختارُ إمّا الرياده

وإمّا الشهادة !

لتبرأ من صلف الجاهليّه

ومن كبرياء السياده !

وروح التفاخَرِ والعنجهيّه !

ومن ترّهاتِ العباده

وغطرسةِ الدولة الفارسيّه

هنا قد أقام الصلاة بأوقاتِها

كلُّ مسلمْ !

وباتَ الليالى يقظانَ يحلُمْ

وبالله أقسمْ

. وراحَ يسجّل قبل الشّهادة بينَ سطور الوصيّهْ

بأنْ سوف يكسرُ أنفَ الطَوَاويسِ

كلَّ الطواويسَ

من «يزْدَ جرْدَ»..

«لرُستمُ»..!

ومازال سيف الكميِّ الهمامِ المُلَثَّمْ![1]

(١) هو ابن محجن الثقفى الذى حبسه سعد بن أبى وقاص فى تسرية الخمر.

هو المُتَكَلِّمْ

بلهجةِ أمر ونهى قويّهْ

بألسنةِ المسلمينَ جَميعاً

بشبه الجزيرةِ والشامْ

وكلَّ حمًى الضادِ والعربيّه

ومُنذُ صياح الديوك ضحىَ

إلى أن تنامَ الرعيّهْ!

* * *

من القادسيه تحركَ حشدُ الجنودِ البواسِلْ

قوافلَ تمضى بإثر قوافلْ
لتُلقى السلامَ على أرض «بابلْ»
وتعبُرَ جسْرا
ليصبحَ فى يدها مُلكُ «كِسْرَى»
وإن كان مثلَ جَميع الممالك «زائلْ»
«فلله ملك السموَات والأرض» ياآل كسرى
وإن بايعتكم أُلوف القبائل
وماجت خزائنكم بالدنانيرِ
من كلِّ صكٍّ وسائل؟

فأين الذين استذلوا العبادا

وراحوا يعيثونَ فى الأرضِ كُفرا!

ويستمرؤنَ الفسادا

وأين الملوكَ الأوائل؟

لقد صارت النارُ فى لحظتينِ رمادا!

* * *

من القادسيّه

وقد عزلوا النهر واستأثروا بالسفائنْ

وفروا فرارا!

لنعبر شاطئ دجلة فى إثرهمْ
جهاراً ..نهارا!
ونجتاز والخيلُ تمسَحُ عنها البللُ
لكى تتجنبَ بعض الزّللْ
وتنفضَ عنها الغبارا
حدودَ المدائنِ!
ليهرُب كل مليكَ ببعض الوسائلْ!
ومازال جيشُ الخليفة سيفاً ودرعاً
يقاتِلْ

لتسقطَ بين يدينا الرهائِنْ
بأرض المدائنْ!
فهذا أسيرٌ يحاوِلْ!
وهذا أمير يجادل!
وهذا مليك يداهِنْ!
ولكنْ.. ولكن
فإن لدينا رسالة حقٍّ
وهذى لعمرىَ أسمى الرسائلْ!

* * *

هنا الآنَ سعد

يؤم الجنودَ بإيوانِ كِسرى

ويسجد لله حمداً

وشكرا

هنا أرض فارِسَ من تحت أقدامِ كِسرى

تميدْ!

وقد خضبتها دماء الضحايا

وقد أسكر تها دموع العبيدْ؟

وهم ينشئون قصورَ الجوارىَ

133

قصرا.. فقصرا!

هنا لم يَعدْ أثر، لغرورِ الجنودْ

ولا لصهيل الجياد

فقد كسرتْ نبرةُ الاعتدادْ!

فليس هنا غير جند الخليفة فوقَ المنابرْ

وليس هنا غير رجع الصّدى

لهتاف الحناجرْ

تردّدُ خلفى

الله أكبر

ألله أكبر
ألله أكبر

غداً.. يا صغيرى!

غداً ياصغيرى

أعودُ إليك بكل الذى تشتهى

من هدايا

وإن كنتُ أشعر أن اغترابىَ عنكَ

خَطايا

وقلبى يُعنفُنى.. وضميرى!

كأنى على شاطئ الوجد أرسو

وتَركُضُ فوقَ دموع الحنينِ

خُطايا

وأسأل نفسى

ترى كيف أمضى

وكلّ حروفِ اسمِك العذبِ ترقص كالنبضِ

خلفَ الحنايا

وكيفَ يكون مصيرى؟!

ومن سيقصُ عليك بكلّ مساءْ

كماكنتُ أسرِدُ

بعضَ الحكايا؟!

ومن سيردُّ عليكَ الغطاءْ
ويغلق شبّاكَ غُرفةِ نومكِ
في زمهريرِ الشّتاءْ
ويطبعُ فوقَ جبينكِ صوبِ الضّحى
قبلةً من حريرِ
وأسمعُ صوتك ..همسك - لغوك
ينسابُ في مرحٍ كالغديرِ
خلال الأثيرِ
فتبكي ضلوعي
وتنهار في مقلتي دموعي

وتجنح نحو الخيال البعيد

يدايا !

تُربِّتُ فوق الجبين برفق

تقبلُ وجهكَ هذا الذى صارَ

كالقمرِ المستدير!

ويوقظنى فجأةً من خيالى

ملامحُ وجهىَ خلفَ المرايا

لكى أتذكر أنى بعيدٌ

وأن الليالى تمرُّ علىَّ

بغيرِ أنيسٍ

ودون جليسٍ
وأنىَّ أُحدّث نفسى كثيراً
وأحتضِنُ الوهمَ فوق سريرى
كمثل الأسيرِ
وأنى تجاوزت أسوار عمرى
بألفِ زمانٍ
وبِتُّ على جمرةٍ أتقلّبُ كالمستجيرِ!

* * *

غداً ياصغيرى
ستعرف أنكَ أنتَ الأَملْ

وأنىَ أعيش

لتنفض عنى غبار المللْ!

وتدركَ أنى برغم كئوس الزمان المريره

ورغم الشجونِ

ورغم الحياة العسيره

ورغم وعورةِ بعض السُبُلْ

فإنى أبيتُ وأصحو بنفسٍ قريره

ولماَ أزلْ

أفكرُ أنك تحملُ إسمي

وأنك سوف تصيرُ غلاماً وسيماً

ويمضى خيالكَ فى الجث عن لحظاتٍ

مثيره

وتشغَلُ قلبَ فتاةٍ صغيره

وتحلُم أحلام كلّ فتىً

بطلعتها.. وابتسامتها

وشكل الرداءِ

وطولِ الضفيره

ولون المقَلْ!

وتكتبُ أحلى القصائد فيها

كأنّ أميراً أحبّ أميره

فصار أسيراً

وصارت أسيره !

وتحكى لنا بينما نتجمع حول الطعام مساءً

بمائدةِ مستديره

وفوق جبنيكَ لما تزلْ

مِسحةٌ من خجلْ

وحين تشبُّ عن الطوق يوماً

وتدرِكُ أبعاد كلٍّ صغيره

وكلّ كبيره

ستصيحُ فى البيت أو خارج البيت

أنت الرجُل

* * *

غداً ياصغيرى

ستأخذ كفى لكى أتوكأ يوما عليكَ

وأفضى بأسرار عمر طويل إليك

وأرقص منتشياً حين ألمحُ لون السعادة

فى مُقلتيكَ

وطعم الأمانى على شفتيكَ

كأنِى أنا أنتَ

أنتَ أنا

كأنّا صديقان لما نزلْ فى سنىّ الشبابْ
ولما نزل نتجاذبُ أطرافَ عذب الأحاديث
عند الذّهابْ
وعند الإيابْ
وأفتح قلبى لكى تتصفح أعوامَ عمرى
وتمخر أمواج هذا الكتاب
وتأخذ من كل تجربة صفحات لديكَ
ومن كلّ فصلٍ
ومن كل بابْ

* * *

الشاعر عبد الجواد طايل
فى سطور

* من مواليد القاهرة - نوفمبر ١٩٥١م.
* حاصل على بكالوريوس تجارة جامعة عين شمس عام ١٩٧٤.
* حاصل على ليسانس الآداب - قسم اللغة العربية - جامعة عين شمس عام ١٩٨٥.
* يعمل عضواً فنياً بالجهاز المركزى للمحاسبات - إدارة المؤسسات الصحفية.
* عضو اتحاد كتاب مصر.
* عضو اتحاد الكتاب العرب.
* رئيس نادى الأدب بقصر الثقافة بمصر الجديدة.

* مقرر (منتدى الشعر) بنادى الشمس.
* صدر له حتى الآن خمسة دواوين شعرية هى:

١ ـ «ولكنى أحبك» ١٩٨٠م.

٢ ـ «مملكة الحب» ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٨٢.

٣ ـ «أشواق وأشواك» ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٨٥م.

٤ ـ «والحب كان الثمن» ـ المكتب المصرى الحديث ـ القاهرة ١٩٩٢م.

٥ ـ «هذا هوالقمر» ـ الدار المصرية اللبنانية ـ ١٩٩٩م.

* له ديوانان تحت الطبع بعنوان: «إلى امرأة جميلة جداً»، «لاتعتذرى».
* حصل على عدة جوائز فى الشعر من بينها جائزة المركز الأول على مستوى الجمهورية بمصر عام ١٩٨٢ فى المسابقة التى نظمتها لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.
* شارك فى العديد من المهرجانات الأدبية من بينها مهرجان (المربد) ببغداد ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ ـ مهرجان (الجنادرية) بالرياض عام ١٤١٣ هـ.
* تنشر قصائده بالصحف اليومية والمجلات الأدبية المختلفة المصرية والعربية.
* قام بتأليف وإعداد الكثير من البرامج الإذاعية بالإذاعة المصرية من بينها «مساء الخير يا بلدى» ـ «المبشرون بالجنة» ـ «أقطاب وألقاب».. إلخ.

* ينشر بالمجلات المصرية والعربية خاطرة نثرية أدبية عنوانها «أوراق من حديقة العشق» ومن بين هذه المجلات «نصف الدنيا وحواء».
* عمل كمسئول لقسم البحوث بالهيئة السعودية للمحاسبين القانونيين بالرياض وكمسئول عن إصدار وتحرير مجلة دورية تصدر عن الهيئة وذلك فى الفترة من (١٩٩٢ - ١٩٩٨).

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٣٠٠ /٢٠٠٢

I.S.B.N 977-01-7703-2